﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١﴾ [البقرة: 161]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الرّبطُ بَيْنَ جَزاءِ التَّوْبَةِ، وسُوءِ مَصيرِ مَن ماتَ دُونَها

يَجُوزُ في الآيَةِ أَن تَكُونَ مِن تَمامِ المَوْضُوعِ قَبْلَهَا، فَتَكُونُ المُنَاسَبَةُ: أَنَّه لمّا تَكَلَّمَ في الآيَةِ السَّابِقَةِ عَنِ اللَّعْنَةِ - الَّتِي تُصِيبُ مِن يُكَابِرُ ويُعَانِدُ، ويَكْفُرُ بِآيَاتِ اللَّهِ، ويَكْتُمُ البَيِّنَاتِ والهُدَى، ثُمَّ اسْتَثْنَى مَنْ يَتُوبُ مِنْهُمْ، ويُصْلِحُ، ويُبَيِّنُ، فَإِنَّ اللَّه تعالى سَيَتُوبُ عَلَيْهِ - بَيَّنَ في هَذِهِ الآيَةِ أَنَّ مَن لَم يَتُب، ومَاتَ عَلَى كُفْرِهِ، فَإِنَّهُ لَا يُسْتَثْنَى مِن اللَّعْنَةِ ولَا تَلْحَقُهُ تَوْبَةٌ.

وَيَجُوزُ أَن تَكُونَ مُسْتَأْنَفَةً بِكَلَامٍ جَدِيدٍ، فَتَكُونُ المُنَاسَبَةُ: بَعْدَ أَن انْتَهَتْ مَوْضُوعَاتُ أَهْلِ الكِتَابِ في هَذَا المَوْضِعِ مِن القُرْآنِ، وقَد كَانَ فِيهِم كُفْرَانُ النِّعَمِ، والنِّفَاقُ وكَثْرَةُ العُدْوَانِ والفَسَادِ في الأَرْضِ، والعَبَثُ بِالأَحْكَامِ، والاسْتِهْزَاءُ بِآيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، بَعْدَ ذَلِكَ أَخَذَ بِبيانِ أَقْوَالِ الوَثَنِيِّينَ، وإِثْبَاتِ وحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، وابْتَدَأَ القَوْلَ في بَيَانِ حَالِ الكُفَّارِ مِن المُشْرِكِينَ وأَهْلِ الكِتَابِ الَّذِينَ مَاتُوا عَلَى الكُفْرِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

الكفر جحود بالمنعم، وإنكار للنّعمة

1) ﴿كَفَرُواْ﴾: مِنَ الجَذْرِ (كفر)، والأَصْلُ فيه السّتْرُ والتّغْطِيَةُ[2]، تغطيةً تامّةً كثيفةً لا يظهر معها شيْءٌ، ويُقَالُ لِلزَّارِعِ: كَافِرٌ؛ لأنّه يُغَطِّي الحَبَّ بِتُرَابِ الأَرْضِ، والكُفْرُ: ضِدُّ الإِيمَانِ، سُمِّيَ لأنّه تَغْطِيَةُ الحَقِّ، فالكافر باللّه غطَّى في نفسه شواهدَ وجودِ اللّه، وعظَمَتِهِ الظّاهرةِ والباطنَةِ، أو تغطَّى عنها، ومن ذلك كُفْرُ النِّعْمَةِ،

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 1/483.

(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (كفر)؛ جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (كفر).

كَفَرَ نعمةَ اللّهِ: جَحَدَها، أنكَرَها وغَطَّاها، أو تَغَطَّى عنْها كأنّها غيرُ مَوجودَةٍ، ﴿وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ٧٢﴾ [النّحل: 72].

الموتُ بابٌ وكلُّ النّاس داخلُهُ

2) ﴿وَمَاتُواْ﴾: مِنَ الجَذْرِ (موت)، والأصلُ في الموت ذَهَابُ الْقُوَّةِ مِنَ الشَّيْءِ[1]، فالموت عبارةٌ عن زَوالِ القوَّة النّامِيَةِ الموجودَةِ في الإنسانِ والحيواناتِ والنّباتِ، نحوُ قوله تعالى: ﴿يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ [الروم: 50]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ﴾ [آل عمران: 169]، فَنَفيُ المَوْتِ عَن أَرْوَاحِهِمْ؛ تنبيهٌ عَلَى تَنَعُّمِهِمْ، وقَوْلُهُ ﷻ: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ [آل عمران: 185] فَعِبَارَةٌ عَن زَوَالِ الْقُوَّةِ الْحَيَوَانِيَّةِ، وإبَانَةِ الرُّوحِ عَن الْجَسَدِ[2].

الملائكة أجسامٌ نورانيّة يعبدون الله، ويفعلون ما يؤمرون

3) ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾: مِنَ الجَذْرِ (ألك)، والأَلوكُ: الرِّسَالَةُ وهِيَ المَأْلُكَةُ، سُمِّيَتْ أَلوكًا؛ لأنّه يُؤْلَكُ في الْفَمِ، مُشْتَقٌّ مِن قَوْلِ الْعَرَبِ: الْفَرَسُ يَأْلُكُ اللّجُمَ[3]، ومَلَكٌ أصْلُهُ: مَأْلَكٌ، والمَأْلُكُ: الرِّسالَةُ، والْمَلَائِكَةُ تَقَعُ عَلَى الْوَاحِدِ والْجَمْعِ: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا﴾ [الحجّ: 75][4].

المَعْنَى الإجْمَاليُّ:

مَنْ ماتَ عَلى كُفْرانِهِ، خَسِرَ الدُّنْيا والآخِرَةَ

يُخْبِرُ اللّه تَعَالَى أَنَّ الَّذِينَ جَحَدُوا الْإِيمَانَ وكَتَمُوا الْحَقَّ، واسْتَمَرُّوا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى مَاتُوا، أُولَئِكَ عَلَيْهِم لَعْنَةُ اللّهِ، بالطَّرْدِ من رَحْمَتِهِ، وعليهم دعاءُ الملائكةِ والناسِ كلِّهم بالطرد من رحمة اللّه والإبعاد منها، ولَا يَشْمَلُهُم الاسْتِثْنَاءُ الْوَارِدُ في الْآيَةِ السَّابِقَةِ[5].

الإيضاحُ اللُّغويُّ والبلاغيُّ:

دَلالَةُ الاسْتِئْنافِ على التَّهْديدِ:

قَولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ﴾، اسْتِئْنافٌ؛

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (موت).
(2) الرّاغب، المفردات: (موت).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (ألك).
(4) الرّاغب، المفردات: (ألك).
(5) نخبة من العلماء، التّفسير الميسّر: 1/24.

الاستئناف لا يُلغي التَّعلُّقَ بالسَّابقِ بل يرتبطُ فيه بنوعِ ارتباطٍ

لِتَحْقِيقِ بَقَاءِ اللَّعْنِ، عَلَى مَن لَم يُحَقِّقْ شُرُوطَ الِاسْتِثْنَاءِ الْوَارِدِ في الْآيَةِ السَّابِقَةِ؛ لِتَأْكِيدِ دَوَامِ اللَّعْنِ واسْتِمْرَارِهِ، كَمَا أَنَّ فِيهِ تَهْدِيدًا ووَعِيدًا لِلْكَافِرِينَ الَّذِينَ مَا زَالُوا عَلَى كُفْرِهِم وعِنَادِهِمْ، وفِيهِ حَثٌّ عَلَى التَّوْبَةِ والرُّجُوعِ لِلَّهِ تَعَالَى، قَالَ الْفَخْرُ الرَّازِيّ في مفاتيح الغيب: "إِنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾، عَامٌّ في حَقِّ كُلِّ مَن كَانَ كَذَلِكَ، فَلَا وجْهَ لِتَخْصِيصِهِ بِبَعْضِ مَن كَانَ كَذَلِكَ، وقِيلَ: يَجِبُ حَمْلُهُ عَلَى الَّذِينَ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ، وهُمُ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْآيَاتِ، والْجَوَابُ عَنْهُ: أَنَّ هَذَا إِنَّمَا يَصِحُّ مَتَى كَانَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ مِن غَيْرِ تَوْبَةٍ، لَا يَكُونُونَ دَاخِلِينَ تَحْتَ الْآيَةِ الْأُولَى، فَأَمَّا إِذَا دَخَلُوا تَحْتَ الآية الْأُولَى، اسْتَغْنَى عَن ذِكْرِهِمْ، فَيَجِبُ حَمْلُ الْكَلَامِ عَلَى أَمْرٍ مُسْتَأْنَفٍ"[1]، وهذا لا يُلغي الارتباطَ بالسَّابقِ، بل ينشئُ حكمًا مستأنفًا يجمعُ بين تأكيدِ حالِ السَّابقين الذين لم يتوبوا، وتهديدِ غَيْرِهم من الكافرين الذين تَنْطَبِقُ عليهم الآيةُ.

دلَالَةُ الِاسْمِ الْمَوْصُولِ على العُمومِ:

الكُفْرُ مِلَّةٌ واحِدَةٌ

التَّعْرِيفُ بِالِاسْمِ الْمَوْصُولِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يُرَادُ بِهِ تَعْرِيفُ الْجِنْسِ، فَهُوَ يَشْمَلُ كُلَّ مَن اتَّصَفَ بِذَلِكَ الْفِعْلِ[2]، فهوَ عامٌّ في حَقِّ كُلِّ مَن كانَ كَذَلِكَ، فَلا وجْهَ لِتَخْصِيصِهِ بِبَعْضِ مَن كانَ كَذَلِكَ[3]، فهو عامٌّ فيهم وفي غَيْرِهم ممَّن كَفرَ، ودليلُ ذلك الإخبارُ عنهم بموتِهم على الكُفرِ، وهذا يعمُّ ولا يخصُّ.

أثرُ الفَصْلِ في بيانِ المعاني في قولِه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾:

الْجُمْلَةَ مُسْتَأْنَفَةٌ، وفِيهَا فَصْلٌ عَن سَابِقَتِهَا؛ لِوُقُوعِهَا مَوْقِعَ سُؤَالٍ نَشَأَ عَمَّا قَبْلَهُ، فلَمَّا قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾، قِيلَ:

(1) الرّازيّ، التّفسير الكبير: 4/142-143.
(2) القُونَويّ، حاشيةٌ على البيضاويّ: 4/388.
(3) الرّازيّ، التّفسير الكبير: 4/142-143.

مَا جَزَاؤُهُمْ؟ فَجَاءَ الْجَوَابُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾.

تغايرُ الصِّيَغِ في التَّعْبِيرِ عنِ اللَّعنِ:

تـجـدُّدُ الـلَّـعـنِ بـتـجـدُّدِ الـكُـفرِ، واستقرارُه بموْتِ الكافِرِ

عَبَّرَ النَّظمُ عَن اللَّعْنَةِ في الْآيَةِ السَّابِقَةِ بِالْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البَقَرَة: 159]؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ حُدُوثُهُ وتَجَدُّدُهُ؛ لِتَحَقُّقِ عِلَّتِهِ واسْتِمْرَارِهَا وهِيَ كَتْمُ الْحَقِّ، بَيْنَما عَبَّرَ عنْها هُنَا بِالْجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾؛ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى اسْتِقْرَارِ اللَّعْنِ عَلَيْهِم بَعْدَ مَوْتِهم على الكُفْرِ؛ فأتى في كلِّ آيةٍ بما يُناسِبُها من الصِّيغةِ.

أثرُ التَّقْدِيمِ والتَّأْخِيرِ في إبرازِ العنايةِ بالمعاني:

قَدَّمَ الْخَبَرَ، وهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهِمْ﴾، وأَخَّرَ الْمُبْتَدَأ، وهُوَ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿لَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾؛ للاهتمام ببيانِ كبيرِ أثرِ اللَّعْنَةِ عَلَيْهِم؛ فَإِنَّ اللَّعْنَةَ لَا تَخْتَصُّ بِهِمْ، فَهِيَ تَشْمَلُ غَيْرَ الْكَاتِمِينَ والْكَافِرِينَ.

ذِكْرُ الْعَامِّ واحتِمالُ إرادَتِه أو إرَادَةِ الْخَاصِّ:

مَـنِ اسْـتَـحَـقَّ اللَّعْنَةَ بِظُلْمِه، تَـجَـرَّدَ الـنَّـاسُ جَمِيعًا لِلَعْنِهِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلنَّاسِ﴾، تَدُلُّ عَلَى النَّاسِ جَمِيعًا، وتَأْكِيدُهَا بِـ ﴿أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾ يَزِيد ذَلِكَ الْمَعْنَى قُوَّةً، ولَكِن من الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ، أَنَّ الْكَافِرِينَ لَا يَلْعَنُونَ مَن مَاتَ مِنْهُمْ، وهُم دَاخِلُونَ في عُمُومِ النَّاسِ، فَلِمَاذَا اسْتَعْمَلَ ذَلِكَ؟ الْجَوَابُ عَنْهُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّاسِ الْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً؛ لِأَنَّهُ إِمَّا لَم يَعْتَدَّ بِسِوَاهُمْ، أَو مُبَالَغَةً في الْحُكْمِ، أَو أَن يُحْمَلَ وُقُوعُ اللَّعْنِ عَلَى اسْتِحْقَاقِ اللَّعْنِ، وحِينئِذٍ يَعُمُّ ذَلِكَ[1]، قال الزّمخشريّ: "فَإِن قُلْتَ: مَا مَعْنَى قوله: ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، وفي النَّاسِ الْمُسْلِمُ والْكَافِرُ؟ قُلْتُ: أَرَادَ بِالنَّاسِ مَن يُعْتَدُّ بِلَعْنِهِ، وهُم الْمُؤْمِنُونَ"[2]، وللمفسِّرينَ فيها تَوْجِيهاتٌ، قال الواحِديُّ "إِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَلْعَنُهُ النَّاسُ أَجْمَعُونَ،

(1) الرّازيّ، التّفسير الكبير: 4/143.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/210.

وأَهْلُ دِينِهِ لَا يَلْعَنُونَهُ؟ قِيلَ: يَلْعَنُونَهُ في الْآخِرَةِ؛ لِقوله: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: 25][1]، ومنها: "إِنَّمَا جَاءَ لَفْظُ ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ بِلَفْظ الْعُمُوم، وقَد عُلِمَ أَنَّ أَهْلَ دِينِهِم لَا يَلْعَنُونَهُمْ؛ لِأَنَّهُم - وإِن كَانُوا لَا يَقْصِدُونَ بِاللَّعْنَةِ أَهْلَ دِينِهِمْ - لَا بُدَّ لَهُم أَن يَقُولُوا: "لَعَنَ اللَّهُ الظَّالِمَ" أَو "الظَّالِمِينَ"، فَيَدْخُلُ في ذَلِكَ كُلُّ كَافِرٍ كَائِنًا مَن كَانَ[2].

(1) الواحديّ، البسيط: 3/447-448.

(2) مكّيّ القيسّي، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 1/533.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»